الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - LIBAN

B.P. 4123 - Tel. 232832

الادارة : شارع سوريا ـ بناية درويش

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل ادريس

Propriétaire - Rédacteur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي ادريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS

العدد الثاني

شباط (فبراير) ١٩٦٧

السنة الخامسة عشرة

* *

No. 2 Février 1967

15 ème année

فصل من رواية

زمن الهزيمة والنصر

بقلم الدكتور سهيل ادريس

بلى يا ابراهيم . لاحظت ذلك مثلك : تلك الغمامة من الهم في عينيه ، وهذا الصمت العنيد الذي كان غارقا فيه، هو الذي كان قلما يصمت . عبارة واحدة كان يرددها حين كانوا يصمتون : « يجب ان نستعيدها » واضاف مرة واحدة : « مهما كان الثمن » ، ثم يطرق ، زارعا نظره في الارض ، بين قدميه ، كأنه ينوي ان يصمت الى الابد

طوال ثلاث ساعات ، ظلوا مجتمعين حوله في الليلة الماضية . جاءوا يستمعون اليه بعد عودته من دمشق . وعلى تلهفهم ان يتكلم هو ، كان سواه دائما يتكلم . تكلم جميع الذين رافقوه ، وكان اكثرهم كلاما قاسم ، هذا الذي لا ينسى انه كان صحفيا . وكان القائد يكتفي ببسمة شاحبة يرسمها على شفتيه ، بينما كان رفاقه يتكلمون . وحين صمتوا ، وطال صمتهم ، فكر بان مستودع الكلام عندهم قد نفد ، كما كانت تنفد مستودعات السلاح . واذن ، فقد ذهب زمن الكلام . ولكن من اين يتزودون للعمل ؟ كانوا واثقين من انهم سيعملون ، لانهم لم يكونوا يستطيعون شيئا اخر . وحين قال لهم القائد ان ينصرفوا للراحة والنوم ، استعدادا للسير ، قال هو في نفسه ان احدا منهم لن ينام ولن يرتاح . فالمعركة الاتية هي المعركة الحقيقية الاولى ، معركتهم قبل كل شيء لاسترجاع اول قرية عربية تسقط في يدهم ، ولكنها معركتهم كذلك ضد الخيانة العربية التي نسجها رجال اللجنة العسكرية في دمشق ، ومعركتهم اخيرا ضد الخوف من المستقبل الذي يفر امامهم .

وحتى الفجر ، ظل يفكر بما سمع من رفاق القائد ، ويفكر ببسمة القائد ، ويفكر بصمته وبعبارته الوحيدة . ظل يفكر ويداه مشتبكتان تحت رأسه وعيناه مفتوحتان في الظلام . بلى ، لقد اغفى ذات لحظة ، فسمع صوت امه تناديه ، فافاق واراد ان يقوم اليها . ولكنه ذكر انه منذ ايام كان قد غادر بيته وقريته . وشعر بغصة في حلقه . تلك كانت المرة الاولى التي تستوقفه فيها لتقول له ، قبل ان يغادر البيت : « انني خائفة يا بني » ثم اوضحت انها لم تكن خائفة على نفسها ، بل عليه هو . وقد انحنى انذاك ليطوق بذراعه كتفيها ، فاحس جسمها يرتعش . وشددتها اليك ، كأنما لتخنق تلك الارتعاشة ، ثم وضعت شفتيك على شعرها وانت تتمتم : «اهذه هي المرة الاولى التي اغادر فيها دير ياسين يا امي ؟» ثم ذكرتها بجارتها ام ابراهيم وابنتها زهرة ، واكدت لها ان ابراهيم قد اوصاهما بان تترددا عليها دائما وان تقدما لها كل معونة تحتاج اليها ، ووعدتها بان تعود بعد ايام قليلة .

بعد ايام قليلة ... اتدري الان متى تعود ؟ بل ان كنت تعود حقا ؟

وسمع تنفس ابراهيم ، على مقربة منه . كان اكثر مني تعبا . واعمق تأثرا بما سمع . فمن شدة الارهاق هو

ينام . ونظر الى وجهه . لقد احب دائما هـذا الوجه ، بقسوته ونعومته في آن . ولكن لماذا لا تعترف بانك تحبه ايضا لانه يشبه وجه زهرة ؟ بل كنت احبه منـذ ايام الدراسة . قبل ان ارى زهرة . وفكر دقيقة بزهرة . ثم قال في نفسه ان هذا ليس اوان التفكير بها ، وانها بعد كل حساب لم تتجاوز الخامسة عشرة . ولكنه لم يكف فورا عن التفكير بها ، واستاء من نفسه ان يفكر بها ، في تلك اللحظات بالذات . ولكن من يدري ، قد لا اراها بعد. انك بارع في اختلاق المعاذير . وذكر انها كانت تحمر خجلا اذا اتفق وفتحت هي الباب حين كان يأتي للسؤال عن ابراهيم . وذكر انها كانت تبسم له فيما بعد . وذكر انه بدأ يصطنع الحجج للسؤال عن ابراهيم . وذكر انه تمنى ذات مساء ان يستعصي عليها درس من دروسها ، فترجو اخاها ان يرجو صديقه « الاستاذ » ان يمد لها يد المعونة. ثم تمثل جسمها الذي كانت بوادر النضج والاكتمال ترف عليه . وعيناها ؟ هل تنسى عينيها ...

وفتح ابراهيم عينيه :

ـ ألم تنم قليلا ؟

فأومأ بعينيه نفيا . واستقام ابراهيم :

ـ لو لم أنم هذه الفترة ، لنهضت محطما .

وجاءهما صوت نور عبر النافذة بانهم سيسيرون عمـا قليل .

ونظر الى ابراهيم ينهض وهو يتمطى ، ثم يتجه الى الزاوية ، حيث كان مدفعه الرشاش . وحين تكلم ابراهيم ادرك انه قد سبقه ، هذه المرة ايضا ، للتعبير عن الخاطرة نفسهـا :

ـ لن تكفينا الذخيرة لاكثر من ساعات .

قال ، وهو واثق من انه كان يخدع نفسه ورفيقه :

ـ اعتقد ان فرق الجهاد القادمة من المناطق ستسعفنا بالذخيرة .

ومرة اخرى ، جاءته نظرة ابراهيم تلـك ، جوابـه الصامت على الاكاذيب . ولكنه لم يغض ، كما كان يفعل ازاء تلك النظرات ، بل حدق في وجهه وقال بلهجة احس فيها التحدي :

ـ وهل تريدنا يا ابراهيم ان نتخلف عن المعركة؟

وجاءه الجواب الذي كان ينتظره :

ـ وهل تريدنا اذن يا حافظ ان نذهب الى معـركة خاسرة ؟

قال في هدوء كأنه الاستسلام :

ـ لا تتشاءم الى هذا الحد . ستأتينا النجدات من غير شك .

واضاف في مزيد من الهدوء :

ـ انها المعركة الفاصلة . وهم يعرفون ذلك . ثم ..

وتوقف لحظة ، ثم نظر في عيني ابراهيم :

ـ ألم تر اصرار القائد على خوضها ؟ هل نستطيع ان نخذله ؟

وقفزت الى حنجرته لهجة قاسم وهو يتحدث عن لقائهم برجال اللجنة العسكرية ورئيسها الباشا . قال له الباشا : ها قد سقطت القسطل ، فعليك ان تسترجعها . فقال للباشا : ليس من السهل فتح حصن القسطل بالبنادق الايطالية وبعض صناديق الذخيـرة . اعطونـا السلاح لنستردها . لقد نجحت خطتنا حتى الان فـي محاصره القدس والمستعمرات وباب الواد ، ومنع وصول النجدات والمؤن الى اليهود . اما الان ، فقد تطورت الاحوال ، ولا بد من السلاح ... اعطونا السلاح . اعطونا المدافع ... فقال له الباشا : شونو ؟ ما اكو مدافع .

ما اكو مدافع . اجل . اكو خونة . اكو مجرمون . اكو متآمرون. اكو جبناء. سنعود الى فلسطين. سنسترجع القسطل . بعيوننا . بايدينا . باظافرنا . اتتركه وحده يا ابراهيم ؟ ان هذه فرصتنا الاخيرة . حظنا الاخير بـألا نحتقر انفسنا .

ورأى ابراهيم يقترب منه ، ورشاشه بيده . كانت على وجهه تلك الاشراقة التي يعرفها . ورأى يده تـرتفع نحوه ، فحنى رقبته ليتلقاها بها وليستجيب لدفئها وهي تربت على اسفلها . علامة رضى واقتناع وتصميم ، اشبه بمصافحة التهنئة او عناق الشوق والحنان. وشبك ذراعه بذراع ابراهيم ، فارتطم رشاشه برشاشه : قبلة اخـوة السلاح في درب طويل يستشرف منذ الان انه درب صراع ومخاطر وآلام .

وأصغى له يقول :

ـ كنا دائما معا يا حافظ . وسنبقى . أليس كذلك ؟

بلى يا ابراهيم . كنا دائما معا . كنا معا في قطع

منشورات نـزار قباني

تقدم قريبا

ص. ب ٦٢٥٠ ـ بيروت

رجلٌ تحتَ الصِّفرْ

للاديب العالـم الدكتور مصطفى محمود

اول رواية من نوعها في الادب العربي تتخـذ مسرحا لها الارض والنجوم والفلك الواسع .

نبوءة اديب لما سيكون عليه الانسان ، جسدا وروحا بعد مئة عام .

اللغو بالكلمات

ـ ١ ـ

صمتنا كل هذا العمر لم نرفض ولم نحتج
ولا يوما تمردنا وعفنا ليلنا المقرور
نسامر نجمة الاحزان لا زاد سوى الحسره
نلوك سنين ماضينا البعيد ونخنق الغصه
بقلب واهن مقهور
وسائدنا من الاحلام ، نزرعها بأرض الغد
ونغفو في انتظار الغد
وينفض غيرنا عنهم غبار الذل
ونرسف نحن في قيد رضيناه
نظل نعيش هذا الرعب تنفثه افاعي الليل
تنز دماؤنا والصمت يخرسنا وهذا الرعب
الام نظل نحرث في حقول الجدب ؟!
تروعنا رؤى الاشباح ، يرعبنا قدوم الموت
الام يطول هذا الصمت ؟
الام نظل ننسج في الخفاء قصائد الاحزان ،
نذرف دمعنا تحت اللحاف الام هذا الخوف ؟!

ـ ٢ ـ

ـ جبان أنت
جبان أنت حين تصلبت شفتاك ، حين صمت
وحين رميت رأسك بين كفيك الملوثتين ،
تلتمس الرجاء المر نسيانا
وتلغو الآن بالكلمات
ترى ماضيك ، تخجل ، تغمض العينين ،
تقصي ذكريات الامس
وتنكرك الدروع ـ وعنتر العبسي ـ مات
ووحلا قد غدت في ناظريك الشمس
فلا دفء يسل الرعب من عينيك ، يدحو
عن دروب التيه ليل اليأس
تظل تعيد في حزن حكايتك القديمة ،
عن سنابل حقلك المهجور
بيادرك الدفينة في عيون الحزن ،
كيف حرمت من خيرات ذاك الضيف !
وكيف غزتك سربان من الغربان
أبادت كل ما جمعت من غله
فأقفرت السهول أسى ، وعم مقابر القريه
نعيب البوم !
وكان زقاق قريتك الحزين مقطع الانفاس
سنابك خيلهم داست بطون الناس

ـ ٣ ـ

وراء الباب كنت فريسة للخوف
فلم ترفع بوجه الغول مقبض سيف
وتلغو الان بالكلمات !

الكويت

محمد القيسي

انابيب المياه عن احيائهم بين رأس العين والقدس . وكنا معا حين نسفنا مياه عين فاره . وكنا معا حيـــن وضعنا الديناميت الذي سلمنا اياه نور تحت قطارهم في مونتفيوري الجديدة ... ومعا دائما كنا في دير ياسين يا ابراهيم : أتذكر كيف التقينا في معارضة وجهاء القرية حين اتفقوا مع وجهاء جبعات شاءول على « معاهدة عدم الاعتداء » تلك ؟ لقد صرخت في وجوههم يومذاك ، حيـــن انفض الاجتماع : اية هدنة خائنة هذه ! وتلك كانت هي العبارة التي دمجت مصيري بمصيرك : كنت اجرأ مني على النطق بها ، فاحسستني مدينا لك بالانقاذ ، وايدتك على الفور ، فيما صمت الكثيرون . بل عارضنا ياسين قائلا اننا بموقفنا ذاك نجلب على القرية الخراب . وضحكت وضحكت يـا ابراهيم ، وقلت في وجوههم جميعا ان الخراب زاحف علينا بلا هوادة ، وذلك الاتفاق هو استقبال له بالاحضان . فلنكن شرفاء في محاولة صده على الاقل . لم ترد ان تقتنع ابدا ، ولا اقتنعت معك ، بأن تفوق عددهم في مستعمراتهم حولنا على عددنا ، يبرر ذلك الاتفاق . أوتذكر كيف جئتني بعد ذلك بساعات توحي لي بأن اترك التعليم في مـدرسة القرية ، على ان تغلق انت متجرك الصغير ، لننضم الى فرقة الجهاد المقدس ، ونشارك في اعمالها حيث دعينا ؟ ومعا كنا نخرج من دير ياسين ، ومعا كنا نعود اليهـا يا ابراهيم لنرد بعض الطمأنينة الى صدر امي وصدري امك واختك . الم تكن انت الذي طرقت علي الباب يوم الخميس الماضي لتدعوني الى مرافقتك للقاء القائد في القدس بعد عودته من دمشق ؟

ـ لم تجبني يا حافظ ؟
ـ بلى يا ابراهيم . سنبقى دائما معا
ومر بهما نور ، فسألهما مبتسما :
ـ مستعدان ، اليس كذلك ؟
قال ابراهيم في جذل :
ـ شرط ان تكون قنابلك فتاكة !
قال نور وهو ينفخ اوداجه :
ـ لقد حشوتها هذه المرة بكل طاقتي الفتكية !
فضحك وامسك بذراع ابراهيم من جديد ، يحثـه على اللحاق بالرفاق على طريق القسطل

سهيل ادريس